الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ٢١ يونية ٢٠٠٠

بشار الأسد سيتعامل مع سلام الشرق الأوسط عبر ثوابت المواقف السورية من أميركا وإسرائيل

العلاقة مع الأردن قد تكون المتغير الأبرز في العهد الجديد ● دول الخليج وايران تنتظر الكشف عن النوايا

باريس: شكري نصر الله

تحليل إخباري

لم تعد ثمة عوائق تذكر امام الدكتور بشار الأسد لانتخابه رئيسا للجمهورية السورية بعد ما تم ترفيع رتبته العسكرية إلى درجة فريق على يد الرئيس بالوكالة عبد الحليم خدام، وبعد ان اصبح امينا عاما لحزب البعث الحاكم عندما أجمع على امانته المؤتمر التاسع للحزب الذي انعقد خلال الاسبوع الماضي.

ومن المرجح ان يجري الاستفتاء الشعبي على رئاسة بشار الأسد بعد مرور اربعين يوما على رحيل الرئيس الأب. واستنادا إلى مراقبين مستقلين في اوروبا والولايات المتحدة، فقد جرت مراسيم انتقال السلطة بشكل سريع وحاسم ومن دون عقبات داخلية او خارجية.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه المرحلة هو: ماذا ترك الرئيس الراحل للرئيس المقبل؟

تسهل الاجابة على هذا السؤال بفصله إلى قسمين:

- القسم الأول، يتعلق بالثوابت التي التزم بها الدكتور بشار.

- والقسم الثاني، يتعلق بما يمكن ان يحركه الرئيس المقبل، ويتصرف به بشيء من الحرية المحاطة بالثوابت نفسها.

● اما الثوابت السورية التي انجزها الرئيس الراحل فأبرزها:

1 - النظام: وهو نظام حزبي مرتبط مباشرة بحزب البعث والاحزاب الشريكة الأخرى. وهذه ثابتة مرشحة للاستمرار.

2 - العائلة: ومن المعروف عن الرئيس الراحل حافظ الأسد حبه وتعلقه بعائلته الى درجة قصوى. وهذا عائد إلى نشأته في مجتمع يعتبر الأب فيه السيد المطاع، والأم هي الرضى، والاشقاء الصغار امانة في عنق الكبار، والكبار ورثة الأب الجديرون، مثله بالاحترام دون مناقشة.

وكان رفعت الأسد، الشقيق الاصغر للرئيس الراحل، يتمتع بحب اخيه الرئيس إلى درجة لافتة للنظر. وعندما انفجر الخلاف السياسي بينهما، طلب الرئيس من شقيقه مغادرة البلاد، لأنه لم يكن يستطيع ان يضعه في السجن وهو اخوه.

لكن رفعت الأسد عاد مرتين علنيتين، ومرات غير علنية، مرة لحضور مأتم ابن اخيه باسل حافظ الأسد. ومرة للمشاركة في جنازة والدته التي كانت تحبه وتعطف عليه.

لكن مسؤوليات الرئيس حافظ الأسد، وهمومه الداخلية والخارجية كانت تضطره للابتعاد المادي عن عائلته، حتى ان ابنه البكر باسل الأسد اعلن في مقابلة صحافية سنة 1993 أنه لا يستطيع ان يرى اباه احياناً إلا بعد ثلاثة أو اربعة أيام.

وقد كان لافتاً ان رفعت الأسد منع رسمياً من المشاركة في مأتم اخيه الرئيس لكن الحكومة السورية برّرت منعه بسبب تصريحات له اعلن فيها انه الوريث الشرعي للرئيس الراحل، ويعتقد ان الدكتور بشار وافق على هذا المنع.

3 - الانفتاح على العرب: منذ تسلم الحكم في عام 1970 عمل الرئيس الراحل على تحسين علاقات سورية بالدول العربية، وبعد ان كان هناك انقطاع عربي واسع في عهد ترويكا: الأتاسي وزعين وجديد قرر الرئيس حافظ الاسد ان يتقرب من العرب معلناً ان الحكم السابق كان مخطئاً. «فمهما تكن خلافات الانظمة فالعرب جميعاً يواجهون خطراً واحداً مشتركاً» (من مقابلة معه اجراها الصحافي البريطاني باتريك سيل - 1985).

وأما داخل حزب البعث فكان الرئيس الراحل يقول «أن الحزب (ايام صلاح جديد) كان يريد ان يبقى منغلقاً على ذاته بدعوى حماية مناضليه، لكن الرئيس الاسد كان يرى عكس ذلك تماماً. وكان يعتقد ان الانفتاح على الآخرين من شأنه ان يساعد على بناء اقتصاد البلاد، وانتعاشها الديمقراطي».

ولعل الفارق الحالي بين الرئيس الراحل حافظ الأسد والرئيس المقبل بشار الأسد هو مستقبل العلاقة مع الأردن والخليج وإيران. فعلى الساحة الاردنية، ينتظر ان تكون علاقة الرئيس بشار بالملك عبد الله افضل مما كانت بين الرئيس الراحل والملك الراحل حسين. ذلك ان ما بين الراحلين من تجارب شخصية ولدت لديهما مشاعر عميقة بعدم الثقة في حين ان الابنين اصبحا صديقين من قبل ان يفجعا بوفاة والديهما.

واما في الخليج العربي، فسوف تترك دوله للرئيس الجديد مجال اثبات نياته تجاههم والعكس بالعكس.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وليس من شك ان دول الخليج العربي كانت ترى في الرئيس السوري الراحل سنداً ثقيلاً ذا وزن عربي واقليمي يمكن الاعتماد عليه، خصوصاً على صعيد العلاقات ـ الخليجية ـ الايرانية. فقد كان وجود الرئيس حافظ الأسد وهيبته لدى ايران تحفلان باحتواء اي سوء تفاهم بين الطرفين.

وفي مقابلة مع مجلة «المستقبل» في مايو (آيار) 1982 قال الرئيس الأسد لكاتب هذه السطور «اننا سنهاجم ايران اذا قرر الايرانيون مهاجمة اي قطر خليجي». وكان مثل هذا الكلام يبعث الطمأنينة في نفوس الخليجيين.

4 ـ العلاقة مع الفلسطينيين: كان الرئيس الراحل حليفاً لمنظمة التحرير ومؤيداً للعمل الفدائي طوال السنوات العشرين التي سبقت اتفاق اوسلو. وبقي حتى وفاته يؤمن بما يلي:

أ ـ ان العمل الفدائي لا يستطيع ان يحرر فلسطين، خصوصاً ان المنظمات الفلسطينية لم تكن تنطوي تحت لواء واحد، او مناقبية واحدة. ولذلك لا بد ان يكون الفدائيون وراء الجيوش العربية النظامية وليس امامها.

ب ـ وكان يرى ان فلسطين هي لب الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

وهذا يجعلها مشكلة سورية بمقدار ما هي مشكلة فلسطينية.

ولذلك لم يكن من حق المنظمة ان تتصرف بفلسطين بمعزل عن العرب والتنسيق معهم.

وينتظر ان يكون هذا ايضاً هو موقف الدكتور بشار الأسد وادارته، حيال السلطة الفلسطينية.

5 ـ العلاقة مع لبنان: كان الرئيس الراحل ينظر الى لبنان من عينين مختلفتين:

أ ـ كان يرى في الشعب اللبناني قدرة مدهشة على مسايرة العصر والحضارة والتقدم.

ب ـ وكان الرئيس الراحل يرى في هذا الوطن المدهش ـ لبنان ـ مصدر متاعب لسورية. وكان يعرف، وقد عاصر شخصياً، ان جميع محاولات السيطرة على الحكم في سورية جاءت عبر الحدود اللبنانية وعلى يد سوريين مقيمين في لبنان، او يتخذون منه قاعدة للانطلاق. وكان الرئيس الراحل يرى ان استعجال اللبنانيين اللحاق بالعصر، جعلهم يهملون حماية ارضهم وحدودهم من الغرباء والمتآمرين.. وهو الاهمال الذي خلف في نفس الرئيس الراحل خوفاً مزمناً من ان تهاجم الجيوش الاسرائيلية سورية عبر لبنان، ولذلك فهو عندما ادخل جيشه لتحقيق مطالب القمة العربية 1976 ثم مؤتمر الطائف 1989 كان يرى ان العرب والحكومة اللبنانية اعطياه اذناً خاصاً بالتصرف في لبنان بما يلائم سورية سواء من حيث أمنها الداخلي، او من حيث صراعها مع اسرائيل. لكن استعجال بعض اللبنانيين على كل شيء جعل من الوجود السوري في لبنان منصة حكم اكثر مما هو منصة مراقبة ومساعدة على تحقيق ما يسمى بالسلم الأهلي.

وينتظر أن يواصل الدكتور بشار علاقته بلبنان انطلاقاً من المبدأ وليس من المستجدات التي طرأت. ولذلك، لن يبدو غريباً اذا ما حثت الإدارة السورية الجديدة السلطة اللبنانية على التصرف بمبادرات ذاتية.

6 ـ العلاقة مع أميركا: كان الرئيس الراحل حافظ الأسد ينطلق بعلاقته مع اميركا من منطلقين اكيدين:

الأول: انه اعلن رغبته بالانفتاح على واشنطن لأنه يعرف بالتجربة ان البقاء على الشاطئ الروسي (السوفياتي سابقاً) لن يحقق النصر العربي على اسرائيل، اذ من حيث النظرة الى اسرائيل، كان الرئيس الراحل يدرك ان السوفيات (ثم الروس الآن) ينظرون الى اسرائيل من المنظار الاميركي نفسه. اي: هي دولة قائمة يجب ان تبقى مدعومة بالمجتمع الدولي وقوية عسكرياً بحيث لا تخسر أي حرب مدعومة مع العرب.

والثاني: ان الرئيس حافظ الأسد، كان يعرف تماماً ان ما يسمى في سورية بوديعة نكسون، لن تجعل من الممكن للعرب ان يتكلوا على اميركا إلا من حيث التجارة والعلاقات الاقتصادية، ومحاولة تبادل الاحترام.

وكان الرئيس الراحل يعرف ان غولدا مائير تملك منذ 1970 (تاريخ دخول الاسد الى الحكم) وديعة اميركية هي عبارة عن رسالة من الرئيس (آنذاك) ريتشارد نكسون يتعهد فيها ان الادارة الاميركية لن توافق على التفسير العربي للقرار 242 (اي: الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة في حرب 1967) بل ستترك للمفاوضات العربية ـ الاسرائيلية ان تحدد نقاط وحدود واراضي الانسحابات المحتملة. وجاء في وديعة الرئيس نكسون ايضا ان الولايات المتحدة تتعهد بعدم القيام بأي تحرك نحو السلام في الشرق الأوسط من دون التنسيق مع اسرائيل وابلاغها سلفاً بما تخطط له هذه الادارة (كما ورد في كتاب وليام كوانت).

وكان الرئيس الراحل يعرف ان الولايات المتحدة لا تعرف سورية كما يجب ان تعرفها ولا تحبها، ولا تريد ان تعرفها وتحبها الان.. وكان هذا هو لسان حاله ايضاً.

وكان الرئيس الراحل يعرف انه منذ عهد نكسون (اثناء حرب 1973) ودخول كيسنجر على خط المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية.. لم تقم واشنطن بأي خطوة باتجاه العرب.

ولذلك، كان الاسد الراحل، يذهب الى القمم الاميركية، او يوفد ممثليه والمفاوضين وفي جعبتهم عبارة واحدة: «لا تثقوا بأميركا كثيراً».

وكان الرئيس الأسد يرغب ان تتحرك الادارة الاميركية نحو منصة السلام وتكيل للطرفين العربي والاسرائيلي بمكيال واحد حتى يمكن اقناع العرب بجديتها وعدالة موقفها، لكن اميركا لم تفعل. وهو ايضاً لم يقترب اكثر مما اقترب.

وليس من المنتظر ان يكون الدكتور بشار قادراً على الاقتراب من واشنطن بأكثر مما اقترب والده إلا اذا اعلنت اسرائيل ـ وبضمانة اميركية رسمية انها ستنسحب من جميع الاراضي السورية المحتلة.

7 ـ المفاوضات مع اسرائيل: وكان الرئيس الراحل يخوضها من منطلق واحد لا غير: السلام هو نتيجة للانسحاب وليس العكس. تنسحب اسرائيل الى ما وراء خطوط الخامس من يونيو (حزيران) 1967 وبعدئذ يمكن حل مشكلات المياه والأمن والعلاقات والسفارات واللقاء في الصورة الفوتوغرافية لكن ليس قبل ذلك، ولا دون ذلك ابداً.

وكان آخر كلام نقل عن الرئيس الراحل انه «اذا لم نتمكن نحن من استعادة حقوقنا، فالبركة بأبنائنا».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية